Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليس من الضرورى أن ترفع الممارسة التطبيقية شعار العودة إلى التراث إلا إذا كان هناك داعٍ يحتم التمهيد للبحث التطبيقى بفصل نظرى؛ وهذا ما يتفق ورؤية دراستنا، فالتمهيد النظرى فيها أمر فرضته خصوصية الظاهرة البلاغية المدروسة؛ إذ يؤكد المسار التاريخى للسجع، استخداما وتقنينا، أنه من أقدم بنى البلاغة العربية ظهوراً، وأكثرها امتدادا فى تاريخ النتاج الأدبى. فقد شكل ملمحا مهماً فى الكتابة العربية من حيث هو علامة أنواع أدبية مختلفة تتحرك فى مسافة زمنية طويلة بدءاً من سجع الكهان والخطب والأمثال الجاهلية ووصولا إلى المقامات والرسائل. وبدهى أن منظومة التقاليد الخاصة بالسجع قد تم تأسيسها داخل التراث، وأن إشكالاته قد تولدت نتيجة لمراحل التحوّل فيه؛ ومن ثمّ فإن دراسة هذه البنية تقتضى من البحث التوقف بداية عند المفاهيم والتصورات التى خلفها الدرس القديم؛ للاستفادة من تحليلاته اللغوية والبلاغية والنقدية. فالبحث التطبيقى للظواهر التى لها تاريخ، مدعو –مهما كان المنهج الذى ينطلق منه– إلى الانتفاع بما خلفه التراث، وإلى مواجهة مع الدرس القديم بفروعه البلاغى والنقدى واللغوى؛ حتى يتسنى له تحرير مفاهيمه داخل سياقات نشأتها. وليس معنى هذا أن البحث يلج من باب قدسية الأفكار المتوارثة، وإنما معناه أنه يدرك ابتداء فى مثل هذه الظواهر وهم البدء من نقطة الصفر.

فالحديث عن السجع كان من الأمور التى شغلت بال البلاغيين والنقاد القدامى لتماس هذه البنية بالبناء الشكلى للنص القرآنى، فاتخذوا من تلك الإشكالية محوراً أسسوا عليه مؤلفاتهم. وإذا كان أول ما يطالعنا من جهود البلاغيين والنقاد ذلك الجهد المبذول لإظهار مباينة القرآن للشعر مباينة اعتمدت تحليل المعطيات الشكلية لكلا النصين –فقد وجدناهم، بالمثل، يولون عناية كبيرة بمناقشة علاقة القرآن بالسجع من باب مباينة القرآن للنص السجعى كذلك، بيد أن الدارسين لهذه القضيّة لم يعمدوا إلى التحليل الشكلى، بل صدروا فى تحريمهم إطلاق السجع على ما فى القرآن، عن جملة من الحجج الكلامية، وإذا قمنا بالتحرى عن ذلك المسلك استطعنا أن نفترض أنّ إيغالهم فيه كان بمثابة القناع الواقى من مواجهة مسألة مباينة القرآن للسجع من خلال تحليل المعطيات الشكلية للنص السجعى الجيد؛ حيث إن تلك المواجهة من المنتظر أن تنعطف بهم بعيداً عن صدق مذهبهم فى التحريم. والبحث، إذ يعكف على دراسة بنية السجع، يلزمه أن يقف على معالجة التراث لها؛ كى يتأملها واضعاً فى حسبانه إشكالياتها التراثية. ولست أقصد بذلك أن البحث الأسلوبى يبدأ من حيث تنتهى البلاغة، أو